

ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

حروب الاستنزاف الطويلة..كيف تدير واشنطن صراع «المنطقة الرمادية» مع إيران؟

السيد شبل

تضخمية حادة تعجز الإدارات الأميركية عن تحمل تبعاتها الاقتصادية والانتخابية.

الرهان على استنزاف الصبر

بناءً على ما سبق، يبرز السيناريو الأرجح أميركياً في إدارة الصراع داخل ما يسمى «المنطقة الرمادية» (Gray Zone)؛ وهي منطقة واقعة تماماً دون عتبة الحرب الشاملة. تعتمد واشنطن هنا على توليفة من العقوبات الاقتصادية القسوى والحصار البحري والعمليات السبريانية ومحاولات العزل الدبلوماسي. الهدف الكامن هو الرهسان على «ملل المجتمع لإيران» وعندها فقط يمكن الضغط على المجتمع.

تفترض هذه المقاربة أن التضيق الاقتصادي وارتفاع معدلات التضخم قد يولدان تمللاً داخلياً يضغط بدوره على صانع القرار لقبول بتسويات سياسية، تريدها الولايات المتحدة الأميركية.

استراتيجية النفس الطويل: كيف يدير معسكر المقاومة المعركة؟

في البداية، لا يمكن تطبيق على هذا المشهد مقولة الكلاسيكية، تنطبق على هذا المشهد مقولة المسؤول الضابط بالفرنسي، ديفيد غال: «القاتل غير النظامي ينتصر إذا لم يخسر، والجيش النظامي ينهزم إذا لم ينتصر سريعاً؛ فالوقت هو حليف الضعيف وعدو القوي». ومن منظور تحليلي، ولكي تنجح إيران ومعسكر المقاومة في إفشال هذا السيناريو، فإن هذا يتطلب رؤية هيكلية متكاملة تركز على النقاط التالية:

- إدراك ديمومة الصراع: فهم حقيقة أن الصراعات الكبرى لا تُحسم بضربة قاضية سريعة؛ فالتاريخ الإنساني والبيولوجي (مثل مناعة الجسد في مواجهة الميكروبات) يقوم على صراع وتوازن دائمين، ما يتطلب جاهزية نفسية ومادية طويلة الأمد.

- اللحمة الداخلية بين الشعب ومؤسساته: الحفاظ على التواصل الفعال والشفاف بين القيادات والمجتمع والعمل للمستمر على

تخفيف الأعباء المعيشية لإغلاق الباب أمام أي محاولات لاختراق الجبهة الداخلية. وهنا تبرز أهمية اقتصاد المقاومة، ومسار الاعتماد على الذات، الذي اعتمدته القيادة الإيرانية منذ عقود.

- إدارة كلفة الوجود الأميركي: الاستمرار في إبقاء كلفة الوجود العسكري والسياسي الأميركي في المنطقة باهظة، بحيث تدرك واشنطن أن البقاء في حالة «اللا سلم واللا

غير أن الواقع الميداني أثبت فشل هذا الخيار؛ فقد أظهرت الدولة الإيرانية ومؤسساتها صلابة هيكلية مكنتها من استيعاب الصدمات، فضلاً عن قدرتها على توسيع رقعة الاشتباك ونقل ثقل المعركة إلى الفضاء الإقليمي. إن استهداف القواعد الأميركية وتعطيل الملاحة في ممرات الطاقة الاستراتيجية، مثل مضيق هرمز، أكدا أن محاولة إنهاء الصراع بضربة



قاضية سريعة أمر تعترضه عقبات، وتكاليفه باهظة للغاية.

لماذا تتجنب واشنطن «الحرب الشاملة»؟ في البداية، لا يمكن تجاهل الدور الاستراتيجي العسكري في البنتاغون، يُنظر إلى «الحرب الشاملة» أو الغزو البري المباشر لإيران باعتباره خياراً كارثياً تحكمه محددات موضوعية صارمة:

- العقيدة الجغرافية والمؤسسية: تتميز إيران بمساحة جغرافية شاسعة وتضاريس جبلية معقدة، إلى جانب بنية أمنية وعسكرية متماسكة تضم الجيش والحرس الثوري وقوات الباسج، ما يجعل أي فكرة احتلال بري كابوساً لوجستياً مستحيلًا.

- الترسانة الاستراتيجية المحصنة: تترك واشنطن أن طهران تمتلك ترسانة هائلة من الصواريخ الباليستية والمسيّرات المخبأة في منشآت عميقة تحت الأرض، وهي قادرة على إلحاق أضرار جسيمة بالحلفاء والقواعد الإقليمية.

- زلزال أسواق الطاقة: أي مواجهة عسكرية واسعة النطاق تعني شلل إمدادات النفط والغاز العالمية، وإدخال الاقتصاد الدولي في أزمات

معركة النفس الطويل لا تُحسم في الميدان وحده، بل في قدرة الدولة والمجتمع على امتصاص الضغوط الاقتصادية والأمنية والنفسية، وتقليص منافذ الاختراق الداخلي، والحفاظ على الحد الأدنى من الاستقرار. منذ انتصار الثورة في إيران عام ١٩٧٩، تشكلت طبيعة العلاقة بين واشنطن وطهران ضمن حلقة من الضغوط والصدام المستمر.



وفي المشهد المعاصر، ومع التطورات العسكرية والجيوسياسية المتلاحقة، تبرز التساؤلات حول طبيعة الخيارات الاستراتيجية المتبقية أمام الولايات المتحدة.

وإذا كان من الواضح تعذر خيار الحسم السريع، فإن أحد أبرز السيناريوهات المطروحة على طاولة صانع القرار الأميركي يتمثل في الاعتماد على «استراتيجية الضغط المركب وحروب الاستنزاف الطويلة»؛ وهو رهان يستهدف إنهاء البنية الداخلية للخصم، مقابل صمود استراتيجي إيراني يخبر قدرة واشنطن على الاحتمال طويل الأمد.

سقوط خيار «الضربة القاضية»: فشل استراتيجي الحسم السريع

عندما تصاعدت وتيرة التوتر عبر العمليات والمواجهات المباشرة – بدءاً من استهداف منشآت نووية في ٢٥ وصولاً إلى الاغتيالات التي استهدفت قيادة كباراً بدائية من شهر شباط/فبراير الماضي – كان الرهان الاستراتيجي لبعض الدوائر الغربية معقوداً على إحداث انهيار سريع في بنية الدولة الإيرانية أو فرض تغيير سياسي جذري يتماشى مع المصالح الأميركية-الإسرائيلية.

تقييم الخبراء الأميركيين لحرب العراق

الخروج من العراق... أفول قوة عظمى بهزيمة استراتيجية

يملك صواريخ بعيدة المدى ولا أسلحة دمار شامل، وأن نظامه لم تكن تربطه بالقاعدة أو بالهجمات التي استهدفت أميركا وحلفاءها أي صلة».

وبضيف: «الإنجاز الوحيد للغزو الأميركي كان تدمير قدرة القوات المسلحة العراقية على الردع في مواجهة إيران، دون أن تكون لدى واشنطن خطة واضحة لإعادة الأمن والنظام عبر إقامة نظام ديمقراطي لا يفضي إلى عزل أهل السنة وتهيمشهم».

نصر تكتيكي وهزيمة استراتيجية

ورغم انتقاده لنتائج الحرب، يرى هذا الخبير العسكري أن حرب العراق، ومعها الانسحاب الأميركي في خاتمة المطاف، حققت نصراً تكتيكياً على الأقل. فبحسب رأيه، تمكنت القوات الأميركية من بناء قدرات فعالة لاحتواء التمرد، وأحرزت بالتعاون مع القوات الأمنية العراقية انتصارات مهمة في عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨. وقد أسهمت هذه الجهود، إلى حدّ ما، في تعويض آثار خمس سنوات من الحرب الأهلية، وفي إقامة بناء هشّ للديمقراطية عاجزة، بناء قد يعيد العراق مرةً أخرى إلى حكم الرجل القوي.

ويقول الخبير الأميركي: «اقتصرت الانتصارات التكتيكية للقوات الأميركية على خفض عدد الحوادث الأمنية، ومن ثمّ تراجع حدة الصراع، وهو صراع كان في أصله ثمرة إخفاقات أميركا في سنوات الاحتلال الأولى. ومع ذلك، فقد خسرت الولايات المتحدة هذه الحرب على المستوى الاستراتيجي».

ولتوضيح تقييمه، ساق أربعة عوامل رئيسية:

«أنتوني كوردمان»، الخبير العسكري في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، يقول في تقييمه: «دخلت القوات الأمريكية هذه الحرب عام ٢٠٠٣، وكانت دواعي دخولها خاطئة.. فقد أثبتت الوقائع بشكل قاطع أن العراق لم يكن

استعدادات حرب اليمن..مَن سيخوض المعركة البرية؟

أعاد التقرير الذي نشرته وكالة رويترز عن التحضير السعودي لهجوم في اليمن طرح السؤال الذي يسبق أي تقدير لنتائج الحرب: مَن سيقا تل على الأرض؟ فالحديث عن عملية واسعة، وعن تعاون سعودي باكستاني تركي، يمكن أن يوحي بتشكيل جيش مشترك يستعدّ لمواجهة قوات صنعاء، لكن مضمون المعلومات المنشورة يميز بين قيادة العملية وتمويلها وتجهيزها وإسنادها، وبين القوة التي ستتقدم برياً وتحمل خسائرها. وهذه المسافة هي مفتاح قراءة الاستعدادات، خصوصاً بعدما غيّرت التطورات عند باب المندب حسابات الرياض وحلفائها.

بحسب تقرير رويترز الصادر في الثاني من تشرين الأول، تدرس السعودية هجوماً محدوداً باتجاه باب المندب، أو عملية أوسع تشمل جهات تعز ومأرب والجوف والبيضاء. وتحدثت المصادر عن احتمال تعبئة أكثر من مئة ألف مقاتل يمني، بحسب حجم العملية، بإشراف سعودي وإسناد جوي سعودي. لكنها لم تقدم موعداً نهائياً، ولم تعلن الحكومات المعنية اعتماد خطة محددة. نحن أمام تحضير منقول عن مصادر مطلعة، يوضح الاتجاه الذي تعمل عليه الرياض، ويترك حجم الهجوم وتوقيته ودرجة الجهوية أسئلة مفتوحة.



أما اجتماع رؤساء الأركان السعوديين والباكستانيين والتركانيين في الرياض يوم الاثنين من أجل، فهو واقعة معلقة. وقد تناول تبادل المعلومات

والتنسيق العسكري وتكامل القدرات، مع إدانة الهجمات على السعودية. لكن البيان لم يعلن تشكيل قوة برية مشتركة للهجوم داخل اليمن. لذلك لا يجوز تحويل التعاون العسكري إلى قرار حرب لم يعلن. أو اعتبار اتفاق الدفاع المشترك دليلاً تلقائياً على استعداد كل طرف إرسال جيشه إلى الجهات اليمنية؛ لأن الالتزام بالدفاع عن السعودية يختلف، عملياً وسياسياً، عن المشاركة في هجوم على قوات صنعاء.

تكشف التفاصيل المنشورة طبيعة هذا الفرق. تحدثت المصادر عن مستشارين باكستانيين يعملون مع نظرائهم السعوديين لدعم القوات اليمنية، وعن معدات أرسلت إلى عدن، وعن استخدام مسيرات تركية. كما تحدثت عن وجود ثلاثين إلى أربعين ألف جندي باكستاني داخل السعودية لمهام دفاعية، مع تأكيد عدم اتخاذ قرار بإرسال قوات باكستانية مقاتلة إلى اليمن. إن، بوجود دعم خارجي، لكن القوة البرية المهاجمة، وفق المتاح، تبقى يمنية. وهذه نقطة حاسمة عند تقدير قدرة الاستعدادات الجديدة على إنتاج نتيجة مختلفة.

المعدات تستطيع تحسين الرصد والنيiran والحماية، والمستشارون يستطيعون تطوير التنسيق، لكن الهجوم يحتاج إلى قوات تتقدّم وتثبت وتؤمن خطوط إمدادها وتحافظ على اتصال وحداتها. والعدد الإجمالي للمقاتلين لا يجيب وحده عن هذه الشروط. السؤال هو مقدار ما يمكن جمعه في تشكيلات منضبطة، بقيادة موحدة وخطة قابلة للتنفيذ. كما أن الانتقال من الدفاع إلى الهجوم يضاعف الحاجة إلى تماسك الوحدات؛ فالقوة التي تواجه ضغطاً على مواقعها تحتاج إلى معالجة أسباب تعثرها قبل تكليفها باستعادة مناطق واسعة.

ويختلف خيار باب المندب عن خيار الحرب المتزامنة على جهات متعددة. فالعملية المحدودة يمكن أن تمنح الرياض هدفاً واضحاً تركز عليه إمكاناتها، لكنها لا تعفيها من صعوبة الاحتفاظ بالمواقع وتأمين الطريق إليها. أما توسيع المعركة إلى مأرب والجوف والبيضاء وتعز، فيتطلب توزيع القوات والإسناد والإمدادات، ويزيد الحاجة إلى التنسيق بين تشكيلات ذات مرجعيات مختلفة. لذلك فإن اتساع قائمة الجهات ليس برهاناً على قوة الخطة؛ فقد يكون توسيعاً للضغط السياسي، أو تعبيراً عن خيارات لم تُحسم بعد.

وثمة معركة أخرى ترافق أي تقدم بري: حماية المنشآت والطرق والموانئ داخل السعودية من الرد. ولهذا يكتسب الدعم الدفاعي الخارجي أهميته في حسابات الرياض. لكنه لا يضمن منع الضربات كلها، ولا يحسم المعركة داخل اليمن. وكلما احتاج الهجوم إلى وقت أطول، ازدادت كلفة الدفاع عن البنية الاقتصادية، وكلفة إبقاء القوات في الميدان. ومن هنا يصبح السؤال عن الحرب مرتبطاً بالقدرة على تحمل تبعاتها، وبالنتيجة السياسية التي تستطيع السعودية الوصول إليها إذا تعذر الحسم العسكري السريع. والسؤال الصعب هو كم تملك السعودية من صواريخ دفاعية لصد الصواريخ الباليستية اليمنية وقد نشر تقرير يقول إنها استعانت بما لدى مصر وألمانيا بسبب عجز كبير تعانيه قواتها.

في المقابل، يلتفت الانتباه ما أعلنه وزير الخارجية الباكستاني إسحاق دار أن السعودية وتركيا وباكستان ستبحث في الرياض الأسبوع المقبل اقتراحاً إيرانياً للتواصل السياسي مع أنصار الله، باعتباره بديلاً للعمل العسكري. وأوضح أن الأمر تداول غير مكتوب بين وزيرَي الخارجية. هذا يثبت أن المسار السياسي حاضر بالتزامن مع الاستعدادات. والاستنتاج أن خبر التحضير للحرب لا يكفي لإعلان قرب الحسم. فعندما تبقى المعركة البرية معتمدة على القوات اليمنية، ويبحث التفاوض في الوقت نفسه، يصبح الامتحان الحقيقي قدرة الرياض على تحويل التحضير إلى نتيجة، أو إدراك أن التفاهم مع صنعاء أقل كلفة من حرب جديدة مفتوحة.

البناء

القوات الأمريكية العراق، وسقوط بغداد في ٩ أبريل – بأن المهمة ستُجز بنجاح. حتى إن بوش أقام على متن حاملة الطائرات الأمريكية «أبراهام لينكولن» احتفالاً متعجباً بالنصر، وخلفه لافتة ضخمة كتب عليها: «أنجزت المهمة». وقال موجهاً كلامه إلى منفذي هجمات ١١ سبتمبر إنهم ظنّوا أنهم قادرون على إجبار أميركا على التراجع عن دورها القيادي في العالم، لكنهم فشلوا، وإن أميركا ماضية من نصر إلى نصر».

لكن باسيفيتش، الذي خدم بنفسه برتبة مقدم في حرب فيتنام، يرى أن مجريات الأحداث في العراق سارت على غير ما توقعه بوش. ويقول إن حرب العراق أثبتت أنه «وإن لم تكن هناك قوة عسكرية في العالم تتفوق على أميركا من حيث القدرة العسكرية، فإنه لا يمكن الاعتماد على هذه القوة وحدها لتحقيق النصر».

وفي رأي باسيفيتش، «كان الانسحاب الأمريكي من العراق نهاية لفكرة الهيمنة الأمريكية القائمة على الاتكاء المحض على القوة العسكرية».

الوقت

الأحداث – بدء الحرب في ٢٠ مارس ٢٠٠٣، ودخول العراق في ٢٠٠٣، و